

كتشوف الشبهات

تأليف

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

١١١٥ هـ - ١٢٠٦ هـ

رحمه الله رحمة واسعة ورضي عنه

ومعه رسالة «نواة الإيمان» للعلامة

الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ

رحمهم الله وغفر لنا ولهم

بتصحيح وتعليق

محمد سائد الفقي

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ هـ

دار الثقافة للطباعة

كشفة الشبهات

تأليف

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

١١١٥ هـ - ١٢٠٦ هـ

رحمه الله رحمة واسعة ورضي عنه

ومعه رسالة «نواة الإيمان» للعلامة

الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ

رحمهم الله وغفر لنا ولهم

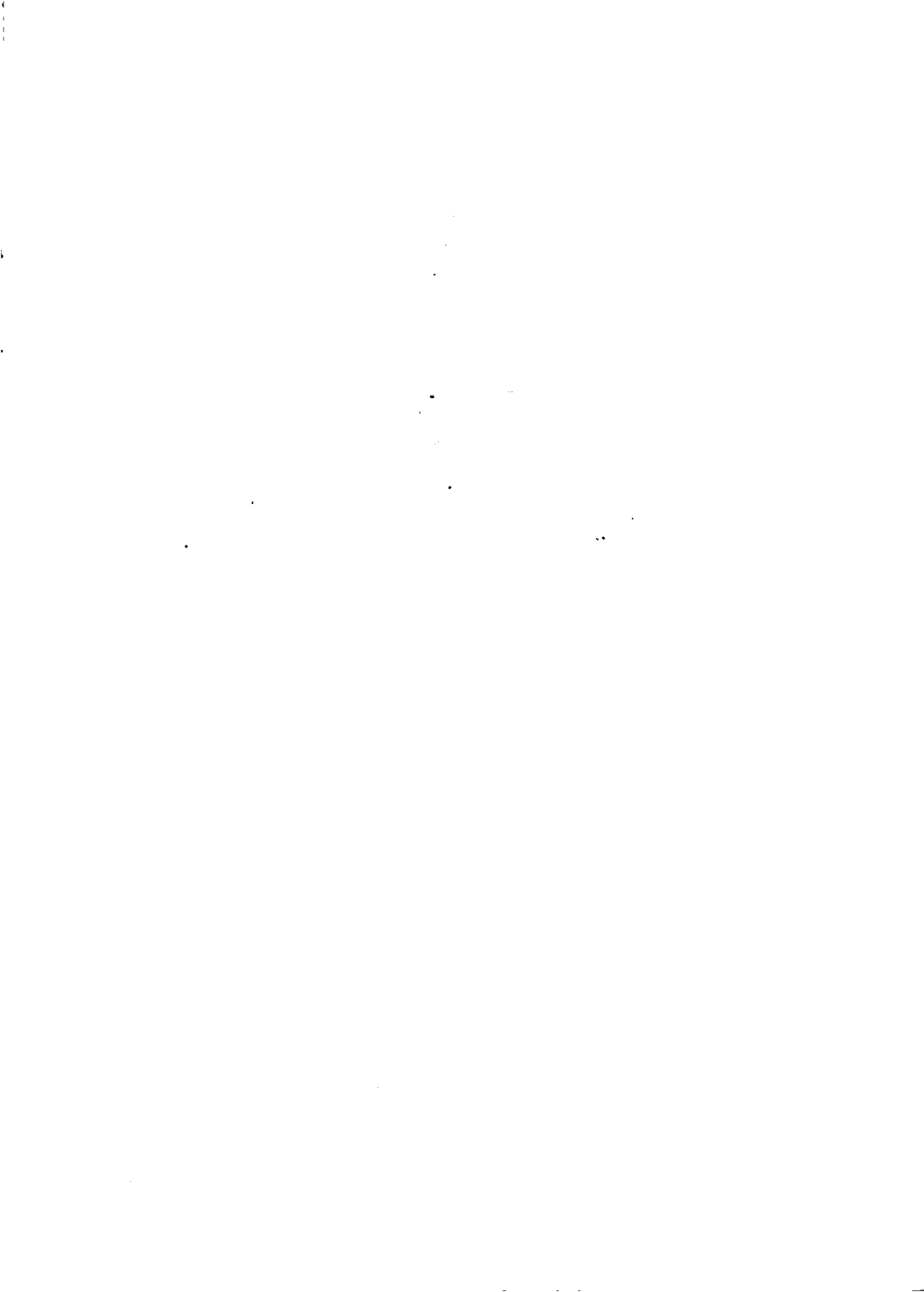
بتصحيح وتعليق

محمد سعيد الفقي

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ هـ

دار الثقافة للطباعة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . إهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم المرسلين ، وخير النبيين . محمد النبي الأمي الصادق ، الذي جاءنا من الله بالنور الواضح والكتاب المبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم .

أما بعد : فهذا الكتاب « كشف الشبهات » التي أوحاها الشيطان إلى أوليائه الغارقين في غمرات الغفلات ، وأخرجهم بها من النور الساطع إلى دياجير الظلمات . وروجوها على العامة باسم الاسلام فحجبت عن قلوبهم شمس الآيات البيئات ، وجرهم الشيطان بحبل إغوائه في ظلمات التقليد الأعمى إلى أقبح الشرك وأشنع الوثنيات ، فاتخذوا من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، بل أشد ، زاعمين - إفكاً وبهتاناً - أن فيهم شيئاً لله « من خصائص صفاته . لأنهم النور الأول الذي انبثق من الله ، فجعلهم الشيطان في قلوب الجاهير والعامة أبناء الله يتصرفون في ملكه بما يشاءون . سبحان الله عما يقولون واتخذوا الدين هزوا ولعباً . فعبدوا الله بشر البدع والخرافات ،

سمحت بطبعه إدارة المطبوعات بمكة المكرمة
برقم ٢/٢٧٦ م وتاريخ ١٤١٣/٢/٢٦ هـ

حقوق الطبع لهذه الطبعة محفوظة للناشر

الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

توزيع
مكتبة الثقافة

مكة المكرمة / ت : ٥٤٢٩٠٤٩
الطائف / ت : ٧٣٢٣٤٤٩
ص . ب : ٥٨١٥

الناشر
دار الثقافة للطباعة

مكة المكرمة - هاتف : ٥٤٢٥١٩٢
فاكس ٥٤٥٠٠٧٧ / ص.ب ٥٨١٥

السعادة بغرس « نواة الإيمان في قلبه . وقد تفضل شيخنا العلامة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة في الدولة العربية السعودية ، أدام الله توفيقنا وتوفيقه والنفع به . وأدام على هذه الدولة التوفيق والتسديد والحكمة والرشاد . ومد في حياة عاهلها ، رافع لواء الدين ، وناصر الحق بالحق ، القوي في الله وبالله . المفوض أمره إلى الله : جلالة الملك الإمام عبد العزيز آل سعود ، أدام الله نصره وتأييده وأقر عينه وعيون العرب بأصحاب السمو أشباله الكرام .

وقد عنيت بمراجعة كشف الشبهات على عدة نسخ مقروءة على المشايخ من آل الشيخ ، وعلقت عليه تعليقاً على قدر ما وهبني الله من العلم القليل والذهن الكليل . وإني لأنصح لكل عاقل أن يشد يده على هاتين الرسالتين ، ويعرض عليهما بالتواجد . فإنهما كالمفتاح لصرح التوحيد ، الذي أنزل الله من أجله كتبه وأرسل رسله ، بل ما خلق الإنس والجن إلا لمعرفة والإيمان به وتحقيقه . وفقنا الله جميعاً لما يحبه ويرضاه . وهدانا صراطه المستقيم . وصلى الله وسلم وبارك على محمد خاتم الأنبياء وخير المرسلين . وعلى آله الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين .

وكتبه الفقير إلى عفو الله ومغفرته : محمد حامد الفقي

من الزمر والرقص والغناء المخنث . وحكّموا الطاغوت في كل الحادثات . وطال عليهم فيها الأمد ، فقست قلوبهم وفسقوا عن سنن الله وفطرته ، وكفروا بخير كتاب أنزله مكون الكائنات وولوا مدبرين عن دعوة سيد المرسلين أفضل أهل الأرض والسموات ، وأصدق الصادقين وأهدى الهداه ، ونفضوا أيديهم من حبل الله المتين وعروته الوثقى . فنزلت عليهم من المنتقم الجبار أشد العقوبات ، ضاقت عليهم الأرض بما رحبت واستحوذ عليهم أعداؤهم من كل النواحي والجهات .

فقام شيخ الاسلام ، الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ، حين أنار الله بصيرته ، وكشف عن قلبه ما ران على قلوبهم من هذه الغشاوات ، ودعاهم إلى الصراط المستقيم . فرموه - كشأن أسلافهم من أعداء الرسل - بأشنع المفتريات ، لكنه صبر وصابر ، فكانت العاقبة له ولمن أيده ونصره ، وأزهق الله بحقه باطل ورثة عبد الطاغوت والعززي واللات ، وتبوأ التوحيد الخالص في أنحاء الجزيرة أعلى الدرجات .

وهذه رسالته « كشف الشبهات » إحدى شُهبة الثواقب التي كان يقذف بها شياطين الوثنية ، فتقطع أسبابهم ، وتمزق أوصالهم ، وتذهب بهارياح الحق إلى أسحق المستنقعات ، وتلقى هناك ما هي حقيقة به من اللعنات في أسفل الدرجات .

ولتسام الفائدة قد صممت إليه رسالة للعلامة المحقق الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وهي رسالة قيمة جداً ، نافعة أعظم النفع لمن يريد الله له

هذا التقرب والاعتقاد محض حقّ الله ، لا يصلح منه شيء ، لا للملك مقرب ، ولا لنبي مرسل ، فضلاً عن غيرهما .
 وإلاً فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده ، لا شريك له ، وأنه لا يرزق إلا هو ، ولا يحيى إلا هو ، ولا يميت إلا هو ولا يدبّر الأمر إلا هو ، وأن جميع السموات ومن فيهن ، والأرض ومن فيها : كلهم عبيده ، وتحت تصرفه وقهره .

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون لله هذه الشهادة : فاقراً قوله تعالى ﴿ ١٠٠ : ٣١ ﴾ (١) قل من يرزقكم من السماء والأرض ؟ أمّن يملك السمع والأبصار ؟ ومن يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميت من الحيّ ؟ ومن يدبّر الأمر ؟ فسيقولون : الله . فقل : أفلا تتقون ؟ ﴿ وقوله ﴿ ٢٣ : ٨٤ - ٨٩ ﴾ قل لمن الأرض ومن فيها ، إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون : لله . قل : أفلا تذكرون ؟ قل : من ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم أفلا تذكرون ؟ قل : من ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تتقون ؟ قل : من بيده ملكوت كل شيء ، فأني تُسحرون ؟ ﴿ وغير ذلك من الآيات .

إذا تحققت أنهم مقرون بهذا ، وأنه لم يُدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ ؛ وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه : هو توحيد العبادة ، الذي يسميه المشركون في زماننا « الاعتقاد » كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً . ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل

(١) يلاحظ في ترقيم الآيات :

أن الرقم الأول يعني رقم السورة والرقم الثاني يعني رقم الآية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَبِهِ نُسْتَعِينُ

اعلم رحمك الله أن « التوحيد » هو إفراد الله بالعبادة ، وهو دينُ الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده . فَأَوْلَهُمْ نوحٌ عليه السلام أرسله الله إلى قومه ، لَمَّا غَلَوْا فِي الصَّالِحِينَ : ودأ وسواعاً ويغوثاً ويعوقَ ونسراً .^(١)

وآخرُ الرسل : محمد ﷺ ، وهو الذي كسرَ صورَ هؤلاء الصالحين أرسله الله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون . ويذكرون الله ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله . يقولون : نريد منهم التقرب إلى الله . ونريد شفاعتهم عنده ، مثل الملائكة وعيسى ومريم . وأناس غيرهم من الصالحين .

فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم ، ويخبرهم أن

(١) روى البخاري في صحيحه في تفسير سورة نوح عن ابن عباس : « صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ، أما « ود » فكانت لكلب بدومة الجندل . وأما « سواع » فكانت لهذيل . وأما « يغوث » فكانت لمراد ، ثم لبني غطفان بالجرف ، عند سبأ . وأما « يعوق » فكانت لهمدان . وأما « نسر » فكانت لحمير لال ذي الكلاع : أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم : « أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبت » وقال ابن كثير في التفسير : وكذا روى عن عكرمة . والضحاك . وقتادة وابن اسحاق . وروى ابن جرير عن محمد بن قيس « أنهم كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس ، فقال : إنما كانوا يعبدونهم وهم يسقون المطر ، فعبدوهم » .

ن أن جهال الكفار يعرفون ذلك ، فالعجب ممن يدعى
 وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة
 بل يظن أن ذلك : هو التللف بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء
 من المعاني . والحاذق منهم : يظن أن معناها : لا يخلق ولا يرزق إلا
 الله ، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله .
 إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب . وعرفت الشرك بالله الذي
 قال فيه : ﴿ ٤ : ٤٨ ﴾ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
 لمن يشاء ﴿ وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى
 آخرهم ، الذي لا يقبل الله من أحد سواه . وعرفت ما أصبح غالب
 الناس فيه من الجهل بهذا ، أفادك فائدتين : -

الأولى : الفرح بفضل الله ورحمته ، كما قال تعالى ﴿ ١٠ : ٥٨ ﴾ قل
 بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ، هو خير مما يجمعون ﴿ .

وأفادك أيضاً الخوف العظيم . فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر
 بكلمة يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل ، فلا يعذر بالجهل ،
 وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى ، كما كان يفعل الكفار ،
 خصوصاً إن ألهمك الله ما قص عن قوم موسى ، مع صلاحهم
 وعلمهم : أنهم أتوه قائلين ﴿ ٧ : ١٣٨ ﴾ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴿
 فحينئذ يعظم حرصك وخوفك على ما يخلصك من هذا وأمثاله .

واعلم أن الله سبحانه من حكمته : لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا
 جعل له أعداء^(١) كما قال تعالى : ﴿ ٦ : ١١٢ ﴾ وكذلك جعلنا لكل نبي

(١) ذلك ليميز الله الخبيث من الطيب ، وليعظم أجر الأنبياء وورثتهم بالجهاد =
 ولكن ما عند أولياء الشيطان ليس إلا ظنون لا تغني من الحق شيئاً ، وأوهام

صلاحتهم وقرهم إلى الله ليشفعوا له ، أو يدعورجلاً صالحاً مثل اللات ، أو نبياً مثل عيسى ، وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ، ودعاهم إلى إخلاص العبادة ، كما قال تعالى ﴿ ٧٢ : ١٨ فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ وقال ﴿ ١٣ : ١٤ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ﴾ وتحققت أن رسول الله ﷺ إنما قاتلهم ليكون الدعاء كله لله ، والذبح كله لله . والاستغاثة كلها بالله . وجميع العبادات كلها لله . وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام ، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء ، يريدون شفاعتهم ، والتقرب إلى الله بذلك : هو الذي أحل دماءهم وأموالهم عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، وأبى عن الإقرار به المشركون .

وهذا التوحيد هو معنى قولك « لا إله إلا الله » فإن « الإله » عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور ، سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً ، أو شجرة أو قبراً أو جنياً . لم يريدوا أن « الإله » هو الخالق الرازق المدبر فإنهم يعلمون : أن ذلك لله وحده ، كما قدمت لك . وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ « السيد » فاتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » .

والمراد من هذه الكلمة : معناها ، لا مجرد لفظها . والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة : هو إفراد الله تعالى بالتعلق ، والكفر بما يعبد من دون الله ، والبراءة منه . فإنه لما قال لهم : « قولوا : لا إله إلا الله » قالوا : ﴿ ٣٨ : ٥ أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا لشيء عجاب ! ﴾

تعالى ﴿ ٣٧ : ١٧٣ ﴾ وإن جندنا لهم الغالبون ﴿ فوجد الله هم الغالبون بالحجة واللسان . كما هم الغالبون بالسيف والسنان ، وإنما الخوف على الموحّد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح ^(١) . وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله ﴿ ١٦ : ٨٩ ﴾ تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴿ فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما يتقضها ويبين بطلانها ، كما قال تعالى ﴿ ٢٥ : ٣٣ ﴾ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ^(٢) ﴾ قال بعض المفسرين : هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة . وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا . فأقول :

جواب أهل الباطل من طريقتين : مجمل . ومفصل . أما المجمل : فهو الأمر العظيم ، والفائدة الكبيرة لمن عقلها . وذلك قوله تعالى ﴿ ٣ : ٧ ﴾ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات . فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴿ وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم » مثال ذلك : إذا قال لك بعض المشركين ﴿ ١٠ : ٦٢ ﴾ ألا إن أولياء الله

(١) إنما الخوف على المقلد الذي دينه وراثته عن آبائه . أما الذي يقطف ثمار التوحيد من سنن الله الكونية وأسمائه وصفاته وكتبه ورسله فهو الغالب إن شاء الله

(٢) قال أبو حيان في تفسيره البحر : ولا يأتونك بشبهة في إبطال أمرك إلا جئناك بالحق الذي يدحض شبهة أهل الجهل ، ويبطل كلام أهل الزيغ .

عدواً شياطين الإنس والجن ، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴿ وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة ، وكتب وحجج ، كما قال تعالى : ﴿ ٤٠ : ٨٣ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ .

إذا عرفت ذلك ، وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه ، أهل فصاحة وعلم وحجج ، فالواجب عليك : أن تعلم من دين الله ما يصير لك سلاحاً تقاثل به هؤلاء الشياطين ، الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل ﴿ ٧ : ١٦ ، ١٧ لأعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ﴿ ولكن إذا أقبلت على الله ، وأصغيت إلى حججه وبياناته . فلا تخف ﴾ ﴿ ٤ : ٧٥ إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين . قال

= وخرافات لا تثبت أمام الحق ﴿ ٢١ : ١٨ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾ وإنما تروج هذه الظنون عند من غلبهم الشيطان بالجهل ، وكبل عقولهم بأغلال التقليد الأعمى للأباء والشيوخ الذين قال الله عنهم ﴿ ٧ : ١٧٩ لهم قلوب لا يفقهون بها وهم أعمى لا يبصرون بها وهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل . أولئك هم الغافلون ﴾ .

أما الذين كسروا عن عقولهم هذه الأغلال ، وعرفوا نعمة الله عليهم في سمعهم وأبصارهم وعقولهم ، ونعمة الله عليهم في كتابه ورسوله ، وقدروا هذه النعم قدرها ، وشكروها حق شكرها ، متفكرين في آيات الله فإنهم لا يقبلون في دينهم إلا ما قام عليه الدليل الصادق من قول الله وقول رسوله ، فلا تروج عندهم أوهاام الدجالين ، وظنون المقتريين على الله الكذب .

فإن قال هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام . كيف تجعلون الصالحين أصناماً ؟ فجاوبه بما تقدم . فإنه إذا قرأ الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله ، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة ، ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره . فاذكر له أن الكفار منهم من يدعوا الصالحين والأصنام . ومنهم من يدعوا الأولياء الذين قال الله فيهم ﴿ ١٧ : ٥٧ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾ ويدعون عيسى ابن مريم وأمه . وقد قال الله تعالى ﴿ ٥ : ٧٨ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، أنظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم أنظر أنني يؤفكون ﴾ واذكر قوله تعالى ﴿ ٣٤ : ٤٠ ، ٤١ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة : أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك ! أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ .

فقل له : أعرفت أن الله كَفَّرَ من قصد الأصنام ، وكفر أيضاً من قصد الصالحين ، وقاتلهم رسول الله ﷺ ؟ .

فإن قال : الكفار يريدون منهم ، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر ، لا أريد إلا منه ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم .

فالجواب : أن هذا قول الكفار سواء بسواء ؛ فاقرأ عليه قوله تعالى ﴿ ٣٩ : ٣ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ ﴿ ١٠ : ١٨ هؤلاء شفاعؤنا عند الله ﴾ . واعلم أن هذه الشبه الثلاث : هي أكبر ما عندهم .

لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿ وإن الشفاعة حق ، وإن الأنبياء لهم
جاه عند الله ، أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من
باطلهم ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره .

فجأبه بقولك : إن الله ذكر أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون
المحكم ، ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أن الله ذكر : أن
المشركين يقرون بالربوبية ، وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء
والأولياء مع قولهم ﴿ ١٠ : ١٨ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ هذا أمر محكم
بين ، لا يقدر أحد أن يغير معناه ، وما ذكرت لي أيها المشرك من القرآن
أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه ، ولكن أقطع : أن الله لا يتناقض
وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله ، وهذا جواب سديد ،
ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله . فلا تستهونه ، فإنه كما قال تعالى :
﴿ ٤١ : ٣٥ وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ
عظيم ﴾ .

وأما الجواب المفصل : فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة
يصدون به الناس .

منها قولهم : نحن لا نشرك بالله ، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق
ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً ﷺ لا يملك
لنفسه نفعاً ولا ضرراً ، فضلاً عن عبد القادر أو غيره . ولكن أنا مذنب
والصالحون لهم جاه عند الله . وأطلب من الله بهم .

فجأبه بما تقدم ، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما
ذكرت ، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً . وإنما أرادوا الجاه والشفاعة
، وقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ، ووضحه .

الذي يدبر الأمر ، ولكن دعوهم والتجئوا إليهم للجاء والشفاعة ، وهذا ظاهر جداً .

فإن قال : أتكر شفاعة رسول الله ﷺ ، وتبرأ منها ؟ .

فقل : لا أنكرها : ولا أتبرأ منها ، بل هو ﷺ الشافع المشفع ، وأرجو شفاعته ، لكن الشفاعة لله كلها ، كما قال تعالى ﴿ ٣٩ : ٤٤ ﴾ قل لله الشفاعة جميعاً ﴿ ولا تكون إلا من بعد إذن الله ، كما قال عز وجل ﴿ ٢ : ٢٥٥ ﴾ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ؟ ﴾ ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذنه الله فيه ، كما قال عز وجل ﴿ ٢١ : ٣٨ ﴾ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴿ وهو لا يرضى إلا التوحيد . كما قال تعالى ﴿ ٣ : ٨٥ ﴾ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴿ فإذا كانت الشفاعة كلها لله ، ولا تكون إلا من بعد إذنه ، ولا يشفع النبي ﷺ ، ولا غيره في أحد ، حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد ، تبين أن الشفاعة كلها لله ، أطلبها منه . فأقول : اللهم لا تحرمني شفاعته ﷺ . اللهم شَفِّعْ فِيَّ ، وأمثال هذا .

فإن قال : النبي ﷺ أعطى الشفاعة ، وأنا أطلب منه مما أعطاه الله . فالجواب : أن الله أعطاه الشفاعة ، ونهاك عن هذا . وقال ﴿ ٧٢ : ١٨ ﴾

فلا تدعوا مع الله أحداً ﴿ .

وأيضاً فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ . فصح أن الملائكة يشفعون ، والأولياء يشفعون . أنقول : إن الله أعطاهم الشفاعة وأطلبها منهم ؟ .

فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه : أنها الشرك الذي لا يغفره . وإن قلت : لا . بطل قولك : أعطاه الله

فإذا عرفت أن الله وضحها في كتابه ، وفهمتها فهماً جيداً ، فما بعدها أيسر منها . فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله ، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعائهم ليس بعبادة .

فقل له : أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة ، وهو حقه عليك ؟ فإذا قال : نعم فقل له : بين لي هذا الذي فرض عليك ، وهو إخلاص العبادة لله وحده ، وهو حقه عليك . فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها .

فبينها له بقولك : قال الله تعالى ﴿ ٧ : ٥٥ ادعوا ربكم تضرعاً

وخفية ﴾

إذا عملت بهذا . فقل له : هل هو عبادة ؟ فلا بد أن يقول : نعم

والدعاء مخ العبادة .

فقل له : إذا أقررت أنها عبادة ، ودعوت الله ليلاً ونهاراً ، خوفاً وطمعاً ، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره ، هل أشركت في عبادة الله غيره ؟ إذ قال الله ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ وأطعت الله ونحرت له ، فلا بد أن يقول : نعم .

فقل له : إذا نحرت لمخلوق : نبي أو جني ، أو غيرهما . هل

أشركت في هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد أن يقر ، ويقول : نعم .

وقل له أيضاً : المشركون الذين نزل فيهم القرآن : هل كانوا

يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول :

نعم .

فقل له : وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء

ونحو ذلك ، وإلا فهم مقرون أنهم عبيد الله تحت قهره ، وأن الله هو

وسر المسألة : أنه إذا قال : أنا لا أشرك بالله ، فقل : وما الشرك بالله؟ فسره لي . فإن قال : هو عبادة الأصنام . فقل : وما معنى عبادة الأصنام؟ فسرها لي . فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله وحده . فقل له : ما معنى عبادة الله وحده؟ فسرها لي . فإن فسرها بما بينه القرآن ، فهو المطلوب . وإن لم يعرفه ، فكيف يدعى شيئاً وهو لا يعرفه؟ وإن فسرك لك بغير معناه : بينت به الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله ؛ وعبادة الأوثان ، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه ، وأن عبادة الله وحده لا شريك له : هي التي ينكرونها علينا ، ويصيحون علينا ، كما صاح إخوانهم حيث قالوا ﴿ ٣٨ : ٦ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلهًا وَاحِدًا؟ إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ (١) .

(١) لقد كان مشركو قريش وغيرهم يحلفون بالله ما هم بمشركين وأن الشرك إنما كان في غيرهم من الماضين الذين كفروا بإبراهيم والأنبياء قبله ، كما في سورة الأنعام (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين) وكانوا إذا قرئت عليهم الآيات التي تبين الشرك في نفسه قالوا (هذه أساطير الأولين) مثل ما يقول الناس اليوم . ولقد كانوا يسمون آلهتهم أولياء . كما كرر الله حكاية ذلك عنهم مراراً . ولم يذكر عنهم - ولا مرة واحدة - أنهم قالوا : إنها أصنام . وإنما ذكرها عن قوم إبراهيم . وفي غير سورة من القرآن ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ﴾ في أكثر من عشرين موضعاً . وكم قرر لهم : أنهم عباد أمثالهم وأنهم أموات غير أحياء ، وأنهم لا يخلقون شيئاً ، بل هم يخلقون ، وأنهم سيكونون لهم يوم القيامة أعداء يكفرون بشركهم ويرعون من عبادتهم لهم ، وأنهم كانوا عن هذه العبادة غافلين بما هم فيه من شأن القبر . وعلى العموم فالله المطلوب أن تتدبر القرآن وتؤمن أن الله يكلم الناس به كل وقت بما هم فيهم من شرك وتوحيد وكفر وإيمان .

الشفاعة ، وأنا أطلب منه مما أعطاه الله .
فإن قال : أنا لا أشرك بالله شيئاً ، حاشَ وَكَلَا ، ولكن الالتجاء
إلى الصالحين ليس بشرك . فقل له : إذا كنت تُقرُّ أن الله حرم الشرك
أعظم من الزنا ؛ وتقرُّ أن الله لا يغفره ، فما هذا الأمر الذي عظمه الله
وذكر أنه لا يغفره ؟ فإنه لا يدري .

فقل له : كيف تُبرئ نفسك من الشرك ، وأنت لا تعرفه؟ أم كيف
يحرم الله عليك هذا . ويذكر أنه لا يغفره ، ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟
أتظن أن الله يجرمه ولا يبيئه لنا؟؟ .

فإن قال : الشرك عبادة الأصنام ، ونحن لا نعبد الأصنام .
فقل : وما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم كانوا يعتقدون أن تلك
الأخشاب والأحجار تخلق وترزق ، وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه
القرآن ، أو هو : قصدُ أثر عبد صالح : خشبة أو حجر ، أو بنية أو غيرها
يدعون ذلك الصالح عندها ويذبحون له ، ويقولون : إنه يقربنا إلى
الله زُلْفَى ؛ ويدفع عنا بركته ؛ فقد صدقت ، وهذا هو فعلكم عند
الأحجار والبنيات التي على القبور وغيرها .
فهذا قد أقرَّ : أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام .

ويقال أيضاً : قولك « الشرك عبادة الأصنام » هل مرادك أن الشرك
مخصوص بهذا ، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم : لا يدخل في
هذا؟ فهذا يرده ما ذكر الله في كتابه : من كُفِر من تعلق على الملائكة
وعيسى والصالحين .

فلا بد أن يقرُّ لك : أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين
فهو الشرك المذكور في القرآن . وهذا هو المطلوب .

والأمر الثاني : أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله ، إما نبياً وإما ولياً ، وإما ملائكة . ويدعون أشجاراً وأحجاراً مطيعين لله ، ليست عاصية^(١) . وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس ، والذين يدعونهم : هم الذين يحكمون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة ، وغير ذلك ، والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي - مثل الخشب والحجر - أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد بنفسه فسقه وفساده ، ويشهد به^(٢)

= والتحكم في الله بما يشاءون ، وأن مجلس أوليائهم برئاسة الميت الفلاني والميتة الفلانية : هو الذي يدبر الأمور ويصرفها . وغير ذلك من العقائد الوثنية البشعة التي لم تكن عند كفار قریش ، بل كانوا أقل وقاحة وفجوراً من مشركي الصوفية في هذه الأزمنة التي اشتدت فيها غربة الإسلام . حتى بلغ الأمر بالمتسبين إلى العلم : أن يكفروا ويحاربوا كل داع إلى توحيد عبادة الله وإخلاص الدين له ، كما جاء به رسول الله ﷺ فطوبى للغرباء الذين يصلحون عنه فساد الناس ويصلحون ما أفسد الناس . اللهم اجعلنا منهم

(١) أي خاضعة لسنة الله الكونية . كما قال ﷻ «وَقُلْ يَسْجُدُونَ لِمِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِنْ سَمِوَاتٍ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَخُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ وَالْمَأْتَمِرَاتِ وَالْخُكَّانِ وَالْحَائِمَاتِ وَطُورِ الْمُدُنِ وَأَنْجِدُوا الْيَتِيمَ وَالْمَسْكِينُ وَارْزُقُوا بِالْبُرِّ وَالْكَفَّارِينَ الَّذِينَ مَا خَلَقَهُمُ اللَّهُ إِلَّا لِعِبَادَتِهِ وَحَدَهُ ، فَاسْتَكْبَرُوا عَلَى اللَّهِ وَأَيَاتِهِ . وَفَسَقُوا عَنْ أَمْرِهِ وَشُرْعِهِ ، وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً يَحْبِبُونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَمَا عُبِدَتِ الْأَشْجَارُ وَالْأَحْجَارُ لِنَفْسِهَا . وَإِنَّمَا عُبِدَتْ لِأَنَّهَا آثَارُ أَنْبِيَاءٍ وَصَالِحِينَ . وَلِذَلِكَ قَطَعَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَجَرَةَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ . حِينَ رَأَى النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِمَجِيئِهَا وَالصَّلَاةَ عِنْدَهَا .

(٢) في طبقات الشعرائي : من كرامات سيده علي وحيش : أنه كان يفعل الفاحشة بالخمير على باب السوق .

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في وقتنا هذا «الاعتقاد» هو الشرك الذي أنزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل وقتنا بأمرين: أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء أو ثنائاً مع الله إلا في الرخاء. وأما في الشدة: فيخلصون لله الدين. كما قال تعالى ﴿ ١٧ : ٦٧ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مِنْتُمْ دَعْوَانُكُمْ إِلَّا إِيَّاهُ ، فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ وقوله ﴿ ٦٠ : ٦٠ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ ، أَعْبَرْتُمْ دَعْوَةَ الَّذِينَ كَفَرْتُمْ أَنْ يَدْعُوا بِهِمْ وَيَقُولُوا سُبْحَانَ اللَّهِ قَدِ اسْتَدْرَأْنَا عَنْ دَعْوَتِهِمْ إِذْ يَسْتَدْعُونَهُ أَسْفَلَ نَارٍ طَائِفَةٌ لَمْ يُغْنُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهَا عَاكِفُونَ ﴾ وقوله ﴿ ٣٩ : ٨ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ، ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ، وَجَعَلَ اللَّهُ آتِدَادًا لِلْإِنْسَانِ عَنِ سَبِيلِهِ ، قَلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا . إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ وقوله ﴿ ٣١ : ٣٢ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَظُلُومٍ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُمُ الدِّينَ ﴾

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله، ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضر والشدة: فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون ساداتهم: تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً؟ والله المستعان^(١)

(١) بل شرك الناس اليوم أفظع وأشنع، لأنهم اعتقدوا في أوليائهم الموتى: أنهم يدبرون الكون ويتصرفون في قبضة ويسطه ورفعه وخفضه، والعزل والتولية، والقهر =

من آمن ببعض وكفر ببعض ، فهو الكافر حقاً ، وأنه يستحق ما ذكر^(١)
زالت هذه الشبهة : وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الإحساء في كتابه
الذي أرسل إلينا .

ويقال : إذا كنت تُقرأ أن من صدق الرسول في كل شيء وجحد
وجوب الصلاة : إنه كافر حلال الدم بالإجماع . وكذلك إذا أقر بكل
شيء إلا البعث ، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان لا تجحد
هذا ، ولا تختلف المذاهب فيه ، وقد نطق به القرآن . كما قدمنا .
فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ ، وهو أعظم
من الصلاة والزكاة والصوم والحج . فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من
هذه الأمور كفر؟ ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ، وإذا جحد التوحيد
الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟ سبحان الله ! ما أعجب هذا
الجهل؟

ويقال أيضاً : هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة ،
وقد أسلموا مع النبي ﷺ ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً
رسول الله ، ويصلون ويؤذنون .

(١) في قوله سبحانه ﴿ ٢٥ : ٨٥ ﴾ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء
من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴿
وكان ذلك في رد بني إسرائيل بعض أحكام التوراة في الأسر والغداء والقتال . وأنه الله قد
أقسم على كفر من لم يرض بحكم الرسول في بعض المال ولم يكن في عبادة الله والإيمان به
فكيف إذا كان في أصل الأصول والأساس الذي يقوم عليه كل شيء ، وهو إخلاص
العبادة لله ؟

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولا، وأخف شركاً من هؤلاء. فاعلم أن هؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا. وهي من أعظم شههم. فاصنع سمعك لجوابها

وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن «لا إله إلا الله» ويكذبون الرسول، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونصدق القرآن. ونؤمن بالبعث. ونصلي ونصوم. فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟

فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم: أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء، وكذبه في شيء: أنه كافر، لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد ببعضه، كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة. أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد الزكاة. أو أقر بهذا كله وجحد الحج، ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله في حقهم ﴿٣: ٩٧﴾ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴿١٥٠، ١٥١﴾ إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله، ويقولون: نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً* أولئك هم الكافرون حقاً، وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴿١٥١﴾ فإذا كان الله قد صرح في كتابه: أن

والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر؟

ويقال أيضاً : بنو عُبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس^(١) ، كلهم يشهدون بألستهم : أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويدعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة ، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم ، وأن بلادهم بلاد حرب . وغزاهم المسلمون حتى استتقنوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين .

ويقال أيضاً : إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول . والقرآن . وإنكار البعث . وغير ذلك فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب « باب حكم المرتد » وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه ؟ وقد ذكروا أنواعاً كثيرة . كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله ، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها ، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه ، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب .

(١) هم المسمون كذباً وزوراً بالفاطميين . كانت أول دولتهم : ببلاد المغرب ، ثم ملكوا مصر في سنة ٣٥٨ هـ وأعلنوا على منابرها ومآذنها بلعن الصحابة ورمي الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها بالأنك تكذيباً لله الذي أنزل براءتها فيما يتلو الناس في محاربتهم من كلام الله الحق المبين . ثم دعوا الناس إلى عبادتهم وعبادة آبائهم من دون الله . وقال فيهم العلماء : ظاهر دينهم الرفض ، ولكن حقيقته الكفر المحض . وهم - لعنهم الله ولعن كل من يواليهم ويعظمهم ، ويتبع طريق غيهم - أول من أقام القباب والمقاصير والمساجد على القبور واحتفل بأعياد الموتى . وجرى الضالون على سنتهم اللعينة في ذلك قبحهم الله وأخزاهم .

فإن قال : إنهم يقولون : إن مسيلمة نبي^(١) .

قلنا : هذا هو المطلوب إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهاداتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شمسان ويوسف، أو صحابياً أو نبياً إلى مرتبة جبار السموات والأرض؟ سبحان الله! ما أعظم شأنه ﴿٣٠﴾ : ٥٩ كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ﴿

ويقال أيضاً : الذين حرقهم على بن أبي طالب بالنار كلهم يدعون الإسلام . وهم من أصحاب علي، وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما^(٢) .

فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم ؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين ؟ أم تظنون الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر ،

(١) والمشركون اليوم رفعوا رؤساءهم فوق رتبة رسول الله ﷺ إذ قدموا طاعتهم في شركهم وضلالهم على طاعة الرسول في الهدى والإيمان ، وإذا قلت لأحدهم : قال الله ، وقال رسوله . قال لك في غيظ وحنق : قال الشعرائي والشاذلي قال ابن عربي وأمثالهم من الطواغيت التي قدموا حكمها وطاعتها ، وقدموا وحيها الشيطاني على وحي الله لأفضل خلقه وأكرم رسله ﷺ فلا فرق والله بينهم وبين مسيلمة وغيره من الدجالين الكذابين ، إلا أن مسيلمة لم يكن في وقاحتهم وفجورهم . فالجامعة بينهم واحدة ، وهي الكذب على الله ورسوله . ورد الناس إلى الكفر . والأسماء لا تغير الحقائق . والكل يحسد رسول الله ، ومحاول انتزاع التعظيم الذي له في قلوب المسلمين إلى هؤلاء الطواغيت . وقد نجحوا في قلوب أكثر العامة والطغام ، لأنهم مقلدون عمي البصائر لا يعقلون . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٢) من الطواغيت التي كانت تعبد في نجد قديماً .

يقولون : إن بني إسرائيل لم يكفروا ، وكذلك الذين قالوا « اجعل لنا ذات أنواط » لم يكفروا .

فالجواب أن نقول : إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك ، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ . ولا خلاف في أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيهم لكفروا . وهذا هو المطلوب .

ولكن هذه القصة تفيد : أن المسلم - بل العالم - قد يقع في أنواع من الشرك وهولاً يدري عنها . فتفيد لزوم التعلم والتحرز ، ومعرفة أن قول الجاهل « التوحيد فهمناه » أن هذا أكبر الجهل ومكاييد الشيطان .

وتفيد أيضاً : أن المسلم إذا تكلم بكلام كفر ، وهولاً يدري ، فنبه على ذلك فتاب من ساعته : أنه لا يكفر ، كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ .

وتفيد أيضاً : أنه لو لم يكفر . فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً كما فعل رسول الله ﷺ .

وللمشركين شبهة أخرى ، يقولون : إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال « لا إله إلا الله » وقال له « أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ » وكذلك قوله « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله »

= الله . اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر إنها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة إنكم قوم تجهلون . لتركن سنن من كان قبلكم ، .

ويقال أيضاً : الذين قال الله فيهم ﴿ ٩٠ ﴾ : ٧٤ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ﴿ أما سمعت : أن الله كفرهم بكلمة ، مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ يجاهدون معه ويصلون معه ، ويزكون ويحجون ويؤحدون ؟ وكذلك الذين قال الله فيهم ﴿ ٩٠ ﴾ ، ٦٥ ، ٦٦ قل : أباالله وآياته ورسوله كتتم تستهزئون ؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴿ فهؤلاء الذين صرح الله : أنهم كفروا بعد إيمانهم كانوا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك . قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح .

فتأمل هذه الشبهة ، وهي قولهم : تكفرون المسلمين ، تكفرون أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون . ثم تأمل جوابها . فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق .

ومن الدليل على ذلك أيضاً : ما حكى الله عن بني إسرائيل - مع إسلامهم وعلمهم وصلاحتهم - أنهم قالوا لموسى ﴿ ٧٠ ﴾ : ١٣٨ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴿ وقول ناس من الصحابة «اجعل لنا ذات أنواط»^(١) فحلف ﷺ «أن هذا نظير قول بني إسرائيل (اجعل لنا إلهاً) .

ولكن للمشركين شبهة يُذَلون بها عند هذه القصة ، وهي أنهم

(١) الأنواط جمع نوط مصدر سمي به المنوط : أي المعلق عليه ، وهي شجرة كان أهل الجاهلية يتبركون بها ويعلقون عليها سلاحهم ، لتكون بزعمهم أقطع وأمضى عند لقاء العدو . وقد روى الإمام أحمد والترمذي - وصححه - عن أبي واقد الليثي قال «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ، ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها . ذات أنواط ، فمررنا بسدرة . فقلنا : يا رسول =

قال : لا إله إلا الله ؟ » وهو الذي قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » وهو الذي قال في الخوارج « أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسييحاً ، حتى إن الصحابة ليحرقون أنفسهم عندهم والخوارج تعلموا العلم من الصحابة ، فلم تنفعهم « لا إله إلا الله » ولا كثرة العبادة ، ولا إدعاء الإسلام ، لما ظهر منهم من مخالفة الشريعة وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود ، وقاتل الصحابة لبني حنيفة ، وكذلك أراد ﷺ أن يغزوبني المصطلق لما أخبره رجل منهم « أنهم منعوا الزكاة » حتى أنزل الله ﴿ ٤٩ : ٦ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ وكان الرجل كاذباً عليهم .

وكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ من الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه .

ولهم شبهة أخرى ، وهي ما ذكر النبي ﷺ « أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ، ثم بنوح ، ثم بإبراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعميسى . فكلهم يعتذر ، حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ » .
قالوا : فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً .

والجواب أن نقول : سبحان من طبع على قلوب أعدائه ! فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ينكرها ، كما قال تعالى في قصة موسى ﴿ ٢٨ : ١٥ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴾ وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيرها في أشياء يقدر عليها المخلوق ، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء ، أو في غيبتهم ، في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله .

وأحاديث أخرى في الكف عن قائلها .

ومراد هؤلاء الجهلة : أن من قائلها لا يكفر ولا يقتل ، ولو فعل ما

فعل .

فيقال هؤلاء الجهلة : معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون « لا إله إلا الله » وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويصلون ويدعون الإسلام ، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار . وهؤلاء الجهلة يقولون : إن من أنكر البعث : كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله ، وإن من جحد شيئاً من أركان الإسلام ، كفر وقتل ، ولو قائلها . فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع ، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه ؟ ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث ، ولن يفهموا .

فأما حديث أسامة : فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله . والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه ، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك ، وأنزل الله تعالى في ذلك ﴿ ٤ : ٩٤ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتيبوا ﴾ أي تبتوا . فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت ، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام : قتل لقوله تعالى ﴿ فتيبوا ﴾ ولو كان لا يقتل إذا قائلها لم يكن للتثبت معنى .

وكذلك الأحاديث الأخر وأمثالها ، معناها ما ذكرناه . وأن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه ، إلا أن يتبين منه ما يناقض ذلك والدليل على هذا : أن رسول الله ﷺ هو الذي قال « أقتلته بعد ما

فنقول : لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختلف شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً .
فإن عرف التوحيد ولم يعمل به ، فهو كافر معاند ، ككفر فرعون وإبليس ، وهذا يغلط فيه كثير من الناس ، يقولون : إن هذا حق ونحن نفهم هذا ؛ ونشهد أنه الحق ، ولكننا لا نقدر أن نفعله ، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا أن نوافقهم ، أو غير ذلك من الأعذار .
ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار ، كما قال تعالى ﴿ ٩ : ١٠ ﴾ اشترؤا بآيات الله ثمناً قليلاً ﴿ وغير ذلك من الآيات ، كقوله ﴿ ٢ : ١٤٦ ﴾ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴿ .
فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً ، وهو لا يفهمه ولا يعتقد به بقلبه ، فهو منافق . وهو شر من الكافر الخالص ﴿ ٤ : ١٤٥ ﴾ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴿ وهذه المسألة مسألة طويلة تتبين لك إذا تأملت على السنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به ، لخوف نقص دنيا أو جاه ، أو مداراة لأحد . وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً . ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله .

أولاهما : قوله تعالى ﴿ ٩ : ٦٦ ﴾ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴿ فإذا تحققت أن بعض الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح ، تبين لك : أن الذي يتكلم بالكفر ويعمل به خوفاً من نقص مال أو جاه ، أو مداراة لأحد : أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها .

إذا ثبت ذلك : فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم : أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف وهذا جائز في الدنيا والآخرة ، وذلك أن تأتي لرجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك ؛ تقول له : ادع الله لي ؛ كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه في حياته وأما بعد موته : فحاش وكلا أنهم سألوا ذلك . بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره ﷺ ، فكيف بدعائه نفسه ، بأبي هو وأمي ؟ .

ولهم شبهة أخرى ، وهي قصة إبراهيم لما ألقى في النار : اعترض له جبريل في الهواء ، فقال له : ألك حاجة ؟ فقال إبراهيم : أما إليك فلا ، قالوا : فلو كانت الاستغاثة شركاً لم يعرضها جبريل على إبراهيم .

فالجواب : أن هذا من جنس الشبهة الأولى ، فإن جبريل عرض عليه : أن ينفعه بأمر يقدر عليه ، فإنه كما قال الله فيه ﴿ ٥٣ : ٥ ﴾ شديد القوى ﴿ فلو أذن له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ، ولو أمره الله أن يغيب إبراهيم عنهم في مكان بعيد لفعل ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل ، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجاً ، فيعرض عليه أن يقرضه أو يهبه شيئاً يقضي به حاجته ، فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ ، ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا مينة فيه لأحد ، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك ، لو كانوا يفقهون ؟ .

ولنختم الكلام بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم ، لكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ، ولكثرة الغلط فيها .

نَوَاقِدُ الْإِيْمَانِ

للإمام العلامة المحقق

الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ

رحمهم الله وغفر لنا ولهم

والآية الثانية : قوله تعالى ﴿ ١٦ : ١٠٦ ، ١٠٧ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان . ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم . ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة - الآية ﴾ فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان ، وأما غير هذا : فقد كفر بعد إيمانه سواء فعل ذلك خوفاً أو مداراة . أو مَشْحَةً بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله أو فعله على وجه المزح ، أو لغير ذلك من الأغراض ، إلا المكره

فالأية تدل على هذا من وجهين :

الأول : قوله ﴿ إلا من أكره ﴾ فلم يستثن الله تعالى إلا المكره . ومعلوم : أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل ، وأما عقيدة القلب : فلا يكره عليها أحد .

والثاني : قوله تعالى ﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا ﴾ فصرح بأن الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل والبغض للدين وعبدة الكفر ، وإنما سببه : أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا . فآثره على الدين .

والله سبحانه وتعالى أعلم ، وأعز وأكرم .
وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين .
وصلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء وصفوة المرسلين . محمد
وعلى آله الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين .

قال الشيخ العلامة الموفق ، الصالح التقي المدقق : عبد اللطيف
بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام وعلم الأعلام ناشر
السنة ، وقامع البدعة بالسيوف والأسنة والأقلام : الشيخ محمد بن
عبد الوهاب رحمهم الله رحمة واسعة . وجعلهم مع النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين . وجعلنا معهم برحمته وفضله :

إعلم - رحمك الله - أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته ، الجامعة
لمعرفته ومحبته ، والخضوع له وتعظيمه ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ،
وإسلام الوجه له .

وهذا هو الإيمان المطلق ، المأمور به في جميع الكتب السماوية وسائر
الرسالات النبوية .

ويدخل في باب معرفة الله : توحيد الأسماء والصفات ، فيوصف
الله سبحانه بما وصف به نفسه من صفات الكمال ، ونعوت الجلال ،
وبما وصفه به رسوله ﷺ ، ولا يتجاوز العبد ذلك ولا يوصف الله إلا بما
ثبت في الكتاب والسنة .

وجميع ما في الكتاب والسنة : يجب الإيمان به ، من غير تحريف ولا

Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page. The text is extremely faint and illegible due to the low contrast and high noise of the scan. It appears to be several lines of text, possibly a list or a series of notes, but the specific content cannot be discerned.

الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغني الحميد . إن يشأ يذهبكم
ويأت بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز ﴿ .

ويدخل في الإيمان : إيمان العبد بتوحيد الإلهية ، الذي تضمنته
شهادة الإخلاص ﴿ لا إله إلا الله ﴾ فقد تضمنت نفي استحقاق
العبادة بجميع أنواعها عما سواه سبحانه وتعالى ، من كل مخلوق
ومربوب . وأثبتت ذلك على وجه الكمال الواجب والمستحب لله تعالى
فلا شريك له في فرد من أفراد العبادة ، إذ هو الإله الحق المستقل
بالربوبية والملك والعز ، والغنى والبقاء . وما سواه فقير ومربوب ومعبد
خاضع له ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً . فعبادة أحد سواه تعالى
أظلم الظلم ، وأسفه السفه . والقرآن كله راد على من هدم توحيد
الإلهية والعبادة ، فأشرك مع الله غيره ، في أي نوع من هذه العبادة ،
مبطل لمذهب جميع أهل الشرك والتنديد ، أمراً وحاضاً ومرغباً في
إسلام الوجه لله وحده ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، والتبتل له في
عبادته .

ولفظ «العبادة» في أصل اللغة : لمطلق الذل والخضوع . ومنه
طريق معبد ، إذا كان مذلاً ، قد وطأته الأقدام ، كما قال الشاعر :
تبارى عتاق الناجيات ، وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مَورٍ معبد^(١)
واستعملة الشارع في العبادة : الجامعة لكمال المحبة وكمال الذل

(١) الوظيف خف البعير ، وهو كالحافر للفرس . والمور : الطريق المعبد في الجبل ،

سمى بذلك لأنه يضطرب فيه جيئةً وذهاباً

تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل . قال الله تعالى ﴿ ٢٠ : ٨ الله لا إله إلا هو ، له الأسماء الحسنى ﴾ فأسماؤه كلها حسنى ، لأنها تدل على الكمال المطلق ، والجلال المطلق ، والصفات الجميلة .

فتثبت ما أثبتته الرب لنفسه ، وما أثبتته له رسوله ، ولا نعطله ، ولا نلحد في أسمائه ولا آياته ، ولا نشبه صفات الخالق بصفات المخلوق ﴿ ٤٢ : ١١ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد ﴾ ﴿ ٢٠ : ١١٠ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً) .

فإن تعطيل الصفات عمادت عليه : كفر ، والتشبيه فيها كذلك كفر . وقد سأل رجل مالك بن أنس رحمه الله ، عن ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ فاشتد ذلك على مالك ، حتى علته الرخصاء إجلالاً لله وهيبة له من الخوض في ذلك ، ثم قال « الاستواء معلوم ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب . والسؤال عنه بدعة » يريد رحمه الله : السؤال عن الكيف .

وهذا الجواب : يقال في جميع الصفات ، لأنه يجمع الاثبات والتنزيه .

ويدخل في الإيمان بالله ومعرفته : الإيمان بربوبيته العامة الشاملة لجميع الخلق والتكوين ، وقيوميته العامة الشاملة لجميع التدبير والتسخير والتمكين ، فالمخلوقات بأسرها مفتقرة إلى الله في قيامها وبقائها ، وحركاتها وسكناتها ، وأرزاقها وأفعالها ، كما هي مفتقرة إليه في خلقها وإنشائها وإبداعها . قال تعالى ﴿ ٣٥ : ٧٦ ، ٨٧ يا أيها

يهدي به من يشاء من عبادته . ولو أشركوا حبط عنهم ما كانوا يعملون ﴿
والشرك : قد عرفه النبي ﷺ بتعريف جامع ، كما في حديث ابن
مسعود : أنه قال « يا رسول الله ، أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل
الله نداً وهو خلقك » والند : المثل والشبيه^(١) .
فمن صرف شيئاً من العبادات القولية أو الاعتقادية . أو المالية أو
العملية - لغير الله : فقد أشرك شركاً يبطل به التوحيد وينافيه ، لأنه
شبه المخلوق بالخالق ، فأحبه كحبه ، وعظمه كتعظيمه ، وخافه
كخوفه . ولهذا كان الشرك أكبر الكبائر على الإطلاق ، وكان محبطاً
لكل عمل ، وكان محرماً الجنة على صاحبه ، والشرك فيه أسوأ الظن
بالله . كما قال الخليل إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿٣٧﴾
: ٨٥ - ٨٧ ماذا تعبدون ؟ أنفكا آلهة دون الله تريدون ؟ فما ظنكم
برب العالمين ؟ ﴿

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : أي فما ظنكم أن يجازيكم إذا
لقيتموه وقد عبدتم غيره . وماذا ظنكم بأسائه وصفاته وربوبيته من
النقص ؟ حتى أحوجكم ذلك إلى العبودية لغيره ، فلو ظننتم به ما هو
أهله : من أنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وأنه الغني

(١) وليس بلازم أن يكون مثيلاً وشبيهاً في كل الصفات والخصائص ، بل يكفي أن
يجعل له بعض الصفات والخصائص ، فيكون بها نداً . وقد جعل الله من أحب متبوعه
ومعتقده حب تعظيم وتقديس وخوف ، كحب المؤمن لله متخذاً من دونه نداً ، ومن تأمل
حال متخذي الأولياء أنداداً من دون الله ، تبين له : أنهم أعطوه من صفات الحياة
والسمع والبصر والقدرة والرحمة والغنى وغيرها ما هو من أخص خصائص الرب سبحانه

والخضوع ، وأوجب الاخلاص لله فيها ، كما قال تعالى ﴿ ٣٩ : ٢ ،
٣ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ، فاعبد الله مخلصاً له الدين . ألا الله
الدين الخالص ﴾ وهذا هو التوحيد الذي جاءت به كل الرسل ،
ونزلت به جميع الكتب^(١)

والعبادة إذا خالطها الشرك أفسدها وأبطلها . ولا تسمى عبادة إلا
مع التوحيد الخالص . قال ابن عباس « ما جاء في القرآن من الأمر
بعبادة الله إنما يراد به التوحيد » اهـ

ويدخل في العبادة الشرعية : كل ما شرعه الله ورضيه : من
الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة : من محبة الله ، وتعظيمه وإجلاله ،
وطاعته والتوكل عليه ، والإجابة إليه ، ودعائه خوفاً وطمعاً ، وسؤاله
رغباً ورهباً وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، والوفاء بالعهود ، وصلة
الأرحام ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمملوك والمسكين وابن السبيل
وكذا النحر والنذر ، فإنهما من أجل العبادات ، وأفضل الطاعات .
وكذا الطواف ببيته تعالى ، وحلق الرأس نُسكاً ، تعظيماً وعبودية .
وكذا سائر الواجبات والمستحبات .

فحق الله على العباد : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً .
والشرك في العبادة : ينافي هذا التوحيد . ويبطله . فإن الله تعالى
فا ذكر خواص أوليائه ومقربي رسله قال ﴿ ٦ : ٨٨ ذلك هدى الله

(١) يشير إلى أن ما اشتهر عند المتسيبين إلى العلم : من كتب الكلام التي يذكرون
فيها : العشرين صفة وأضدادها ، وتطويل الخوض في ذلك ، وما تفنن فيه أهل الجدل
والكلام ، ليس هو توحيد الرسل الذي بعثهم الله به . فافهم وتدبر أرشدني الله وإياك .

ونعيمه : إنما هو في أفراد الله بهذه العبادة ، والإِناية إليه بما شرعه لعباده منها .

وأصلها : كمال المحبة ، وكمال الذل والخضوع ، كما تقدم . هذا سر العبادة وروحها ، ولا بد في عبادة الله من كمال المحبة مع كمال الخضوع .

فأحب خلق الله إلى الله ، وأقربهم منزلة عنده : من قام بهذه المحبة والعبودية ، وأثنى على ربه سبحانه بذكر أسماؤه الحسنی وصفاته العلاء فمن أجل ذلك : كان الشرك أبغض الأشياء إلى الله ، لأنه ينقض هذه المحبة والخضوع والإِناية والتعظيم ، ويجعل ذلك شركة بين الله وبين من أشرك به من الأنبياء أو الأولياء ، أو الملائكة أو الأشجار والأحجار . ولذلك لا يغفره الله أبداً لمن أصر عليه حتى مات ، لأنه يتضمن سب الله وتنقصه بالتسوية بينه وبين من اتخذ معه شريكاً في المحبة والتعظيم ^(١) وغير ذلك من أنواع العبادة . قال الله تعالى ﴿ ٢ ﴾ : ١٦٥ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً ، يحبونهم كحب الله . والذين آمنوا أشد حباً لله ﴿ أخبر سبحانه : أن من أحب أحداً أو شيئاً دون الله حباً من جنس الحب الواجب لله - وهو الحب مع الذل والخضوع - فقد اتخذ نداءً لله .

(١) ويستلزم ولا بد : اعتقاد أن هؤلاء الأنبياء والأولياء أبناء الله لأنهم - يزعم الصوفية - النور الذي انبثق وتولد من ذات ربه . ولذلك فإن الله يقرر في آيات السور المكية التشنيع على الشرك والمشركين : التشنيع على من زعم لله ولداً . فتنبه لذلك جيداً تعرفه .

عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه ، وأنه قائم بالقسط على خلقه ، وأنه المنفرد بتدبير خلقه ، لا يشركه فيه غيره . وأنه العالم بتفاصيل الأمور ، فلا تخفى عليه خافية من خلقه ، وأنه الكافي لهم وحده ، لا يحتاج إلى معين ، وأنه الرحمن بذاته . فلا يحتاج في رحمته إلى من يستعطفه . وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء فإنهم يحتاجون إلى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم ، ومحتاجون إلى من يعينهم على قضاء حوائجهم ، وإلى من يسترهم ويستعطفهم بالشفاعة . فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورة . لحاجتهم وعجزهم وضعفهم ، وقصور علمهم . فأما القادر على كل شيء ، الغني بذاته عن كل شيء ، العالم بكل شيء . الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء : فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه : تنقص بحق ربوبيته وإلهيته وتوحيده ، وظن به ظنَّ السوء . وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده ويمتنع في العقول والفطر . وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبح . انتهى (١) .

إذا عرفت هذا : فصالح العبد وفلاحه . وسعادته ونجاته وسروره

(١) خصوصاً إذا عرف أن أساس اتخاذ الموتى وسائط : هو اعتقاد أنهم النور الذي انبثق من الله ، وأن أول خلق الله : الحقيقة المحمدية ، كما يعتقد ذلك كل الصوفية الذين هم الواضعون للوثنية وعبادة الموتى باسم الوسائط . فإنهم يقولون : إن ذات ربهم كالنواة ، وأن العالم خرج كله من هذه النواة ، كالنخلة وكل شجر . فالخلق مظاهرات لذات ألهمهم . وهذا هو أساس اتخاذ الأولياء وسائط من دون الله .

والنوع الثاني : محبة رحمة وإشفاق ، كمحبة الوالد لولده ونحوها .
وهذه أيضاً لا تستلزم التعظيم .

والنوع الثالث : محبة أنس وإلف ، وهي محبة المشركين في صناعة
أو علم . أو مرافقة أو تجارة أو سفر : بعضهم لبعض ، وكمحبة الإخوة
بعضهم لبعض فهذه المحبة التي تصلح للخلق بعضهم من بعض ،
ووجودها فيهم لا يكون شركاً في محبة الله سبحانه . ولهذا كان الرسول
ﷺ يحب الحلو والعسل . وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد ، وكان
أحب اللحم إليه الذراع ، وكان يحب نساءه ، وكانت عائشة أحبهن
إليه . وكان يحب أصحابه ، وأحبهم إليه الصديق رضي الله عنهم .
وأما المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله وحده ، والتي إن أحب
العبد بها غيره كان شركاً لا يغفره الله : فهي محبة العبودية المستلزمة
للذل والخضوع والتعظيم ، وكمال الطاعة ، وإيثار رضا المحبوب على
رضا غيره فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلاً . وهي التي سَوَّى
المشركين فيها بين آلهتهم وبين الله . وهي أول دعوة الرسل ، وآخر
كلام العبد المؤمن الذي إذا مات عليه دخل الجنة : اعترافه وإقراره
بهذه المحبة وإفراد الرب بها . فهي أول ما يدخل بها في الإسلام ،
وآخر ما يخرج به المؤمن من الدنيا إلى الله ؟ وجميع الأعمال كالأدوات
والآلات لها ، وجميع المقامات وسائل إليها ، وأسباب لتحصيلها
وتكميلها وتحسينها من الشوائب والعلل . فهي قطب رحى السعادة ،
وهي روح الإيمان ، وساق شجرة الإسلام ، ولأجلها خلق الإنس
والجن ، ولأجلها أنزل الكتاب والحديد . فالكتاب هاد إليها ، ودال
عليها ومفصل لها ، والحديد : لمن خرج عنها وأشرك مع الله غيره فيها

وهذا معنى قول المشركين لمعبودهم يوم القيامة ﴿ ٢٦ : ٩٧ ، ٩٨ ،
 تالله إن كنا في ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين ﴾ فهذه تسوية
 في المحبة والتاليه ، لا في الذات والأفعال والصفات (١) .
 والآيات قبلها تدل على ذلك ، إذ يقول الله ﴿ ٢٦ : ٩٤ - ١٠٢
 فكذبوا فيها هم والعاون . وجنود إبليس أجمعون . قالوا - وهم
 فيها مختصمون - تالله إن كنا لفي ضلال مبين . إذ نسويكم برب
 العالمين . وما أضلنا إلا المجرمون . فما لنا من شافعين . ولا صديق
 حميم ، فلو أن لنا كفرة ؟ فتكون من المؤمنين ﴾ كما حكي عنهم في سورة
 البقرة أيضاً ﴿ ٢ : ١٦٣ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا
 العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذي اتبعوا : لو أن لنا كفرة ؟
 فتبرأ منهم كما تبرؤا منا . كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ،
 وما هم بخارجين من النار ﴾ .

فمن صرف ذلك لغير الله الإله الحق : فقد أعرض عنه ، وأبق عن
 مالكة وسيده فاستحق مقتته وغضبه . وطرده عن دار كرامته ، ومنازل
 أحبابه .

والمحبة ثلاثة أنواع : محبة طبيعية ، كمحبة الجائع للطعام ،
 والظمان للماء . وغير ذلك . وهذه لا تستلزم التعظيم .

(١) وهي تسوية أيضاً في الطاعة والتوقير ، إذ كانوا قد شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن
 به الله . فقدموا شرعهم الباطل على شرع الله الحق ، وأسلموا إليهم قلوبهم وأعمالهم ،
 مثل ما يسلم المؤمنون ذور الألباب قلوبهم ووجوههم لله ورسوله ولكتابه . وعقيدة فيض
 النور الأول : هي التي ولدت التسوية في العبادة والإلهية . والله أعلم .

بالنواجذ ، ويقبض فيه على الجمر ، ولا يؤخذ بأطراف الأنامل ، ولا يطلب على فضله ، بل يجعل هو المطلب الأعظم ، وما سواه إنما يطلب على الفضلة .

والله المسئول أن يمن علينا بتحقيق ذلك علماً واعتقاداً وعملاً وحالاً ونعوذ بالله أن يكون حظنا من ذلك مجرد حكايته .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه وأمينه على وحيه محمد النبي الأمي ، وعلى آله الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه . واجعلنا منهم بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين .

ولأجلها خلقت الجنة والنار، فالجنة دار أهلها الذين أخلصوها لله وحده ، فأخلصهم لها . والنار دار من أشرك فيها مع الله غيره ، وسوى بينه وبين الله فيها .

فالقيام بها علماً ، واعتقاداً وعملاً وحالاً وتصحيحاً : هو تصحيح شهادة أن لا إله إلا الله .

فحقيق بمن نصح نفسه وأحبها ، وأحب سعادتها ونجاتها : أن يتيقظ لهذه المسألة أشد التيقظ ، وتكون أهم الأشياء عنده ، وأجل علومه وأعماله . فإن الشأن كله فيها . والمدار كله عليها . والسؤال عنها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم كل السلامة من أي علة ومرض من أمراض حب غير الله ، وتقديم طاعته ومرضاته على طاعته سبحانه ومرضاته .

قال تعالى ﴿ ١٥ : ٩٣ ، فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ قال غير واحد من السلف : هو السؤال عن قول « لا إله إلا الله » وهذا حق . فإن السؤال كله عنها وعن أحكامها وحقوقها . قال أبو العالية : كلمتان يسأل عنها الأولون والآخرين : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟

فالسؤال عن « ماذا كانوا يعبدون » هو السؤال عنها نفسها . والسؤال عن « ماذا أجابوا المرسلين » هو السؤال عن الوسيلة والطريق المؤدية إلى تحقيقها ، هل سلكوها وأجابوا الرسل لما دعوهم إليها ، أم لا ؟ فعاد الأمر كله إليها .

وأمرٌ هذا شأنه : حقيق بأن تُثنَى عليه الخناصر ، وبعض عليه

